ميادين المصارعة الرومانية في الجزائر القديمة

د. رضا بن علال•

ملخص

عرفت الجزائر القديمة* انتشار عمارة الألعاب الرومانية التي من ضمنها ميادين المصارعة. وقد استخدمت هذه العمارة التي أبدعها المعماريون الرومان في استقبال فعاليات ألعاب الصيد ومبارزة الحيوانات والمصارعة الرومانية، أو ما يعرف عند بعض المؤرخين والأثريين بالمسايفة. وقد انعكستالأهمية الكبيرة التي اكتسبتها ألعاب الصيد والمصارعة الرومانية على مجتمع الجزائر القديمة، فأسهم سكان المنطقة من معماريين وبنائين في تشييد وتطوير تقنيات بناء هذه العمارة وتميزوا عن غيرهم من شعوب الإمبراطورية الرومانية ببنائهم لمدرّج فريد من نوعه بمدينة يول في عهد الملكين يوبا الثاني وابنه بطليموس. لكن سرعان ما نلاحظ وجود تباين في انتشار ميادين المصارعة بين شرق المغرب القديم وغربه على العموم، وبين شرق الجزائر القديمة وغربها على وجه خاص. وبالتالي، فإنني سأحاول رسم خريطة أجسّد فيها انتشار ميادين المصارعة الرومانية في الجزائر القديمة محاولاً التركيز على إطار زمني دقيق لظهور هذه المرافق الترفيهية بالمنطقة.

عمارة ميادين المصارعة الرومانية

ولفهم كيفية إنجاز ميادين المصارعة الرومانية، يتعيّن علينا الرجوع إلى أصولها الرومانية، فلقد كان لزامًا على مهندسي عمارة الألعاب التي شهدت ازدهارا منقطع النظير انطلاقا من القرن الأول قبل الميلاد استحداث تقنيات بناء جديدة لاسيما في روما، ورغم أن ميادين المصارعة كانت من إبداع روماني محض، إلاّ أننا نجهل تفاصيل إنشائها وأسباب جعلها إهليلجيه الشكل[1]. لكن بإمكاننا العودة إلى النصوص الأدبية والنقوش لتحليل معطياتها بغرض رسم صورة المزايا الوظيفية لشكلها العام والتي بدورها تفتح لنا المجال واسعًا لتحقيق الأهداف المرجوة من هذه الدراسة.

• المدرسة العليا للأساتذة (بوزريعة-الجزائر)

*تقع الجزائر في وسط شمال القارة الإفريقية، بين خطي طول ٩° غرب غرينتش، و١٢° شرقه، وبين دائرتي عرض ١٩° و٣٧°شمالاً. تبلغ مساحتها الإجمالية ٢٣٨١٧٤١ كلم٢. وفي حين يبلغ امتداد ساحلها ١٢٠٠ كلم، يبلغ امتدادها ١٨٠٠ كلم على مستوى خط تندوف غدامس؛ نقلاً عن: لعروق محمد الهادي وسمير بوريمة، أطلس الجزائر والعالم، عين مليلة: شركة دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٨، ص ١٢.

[1]Golvin (J.-C.), « l'Amphithéâtre romain », Dossiers d'Archéologie, 45, Juillet-Aout 1980, p 6.

فمن بين الأسباب التي أنشئت من أجلها ساحات الفوروم في العهد الجمهوري، استقبال عروض المصارعة. ولقد وسّع المهندسون المعماريون مساحتها إلى أن قاربت نسبتها ٢/٣ من مساحة الساحة العمومية التي شكلت فضاء شاسعا لاستقبال الجمهور. وإذا ما كانت المقاعد الخشبية تركب حول هذه الساحات لتمكين المشاهدين من تتبّع فعاليات الاحتفال، فإنها سرعان ما كانت تفكك بمجرّد انتهاء عروض المصارعة. ويرجع الفضل في إنشاء أول شرفات خشبية في روما استعملت كمقاعد، إلى المحاسب ماينيوس (C. Maenius)، إذ قام هذا الأخير بتركيبها حول الفوروم الروماني (Forum Romanum) في سنة ٣٣٨ ق.م[٢].

ونظرًا لعدم امتلاكنا لمعلومات عن كيفية انتقال تأثيرات هندسة الساحات العمومية إلى ميادين المصارعة. فإننا نعتقد أنها تطور طبيعي لساحات الفوروم، بسبب امتلاكها لنفس المزايا التي وفرها لها الشكل الإهليجي. ويبدو أنه لم يطرأ على مساحات ساحات الفوروم حينما أصبحت حلبات لميادين المصارعة أيّ تغيير يذكر، فهي تساوي في كلتا الحالتين ما مقداره ٧٠٠٠م[٣٢].

ولا نستبعد فرضية انتقال منصّات المشاهدين تدريجيا من الوضعية المستقيمة إلى المدرّجات الإهليجية، وذلك بسبب محاولة إلغاء المعماريين لزوايا فضاء المصارعة المستطيل، بغية المساهمة الفعالة في تحسين نوعية هذا الفضاء لممارسة المصارعة والصيد وجعله فضاء يمكن إدراكه من المنصة. كما نعتقد أن أول ما قام به مهندسو العمارة هو إنجاز حلبات مصارعة بمراكز مستطيلة وأطراف نصف دائرية. ومن بين المباني التي ينطبق عليه هذا المعيار، نذكر ذلك الصرح الخشبي الذي بناه يوليوس قيصر في مدينة روما سنة ٤٦ ق.م، والذي يعرف في النصوص القديمة بالملعب الصيديّ (Stade Cynégétique). ومع هذا فقد استمر الرومان في تنظيم ألعاب المصارعة والصيد في الساحات العمومية، رغم قيام المعماريين ببناء أول ميدان مصارعة من الأحجار في روما سنة ٢٩ ق.م، وهو البناء الذي يعرف بميدان ستاتيليوستاوروس (Statilius Taurus)[٤].

ومهما يكن من أمر، فإنه من الصعوبة بمكان الاعتقاد أن يكون الشكل الإهليجي لميادين المصارعة قد تم إنجازه دفعة واحدة من دون تلمّس، حتى ظهرت معالمه جليّة في مدن جنوب إيطاليا خلال القرن الأول قبل الميلاد، لأن المجهود المبذول في تصوّر هذه العمارة قد واكبه تطوّر منهجي في الخصائص التقنية للأبنية

[2]Gros (P.), « Architecture et société à Rome et dans l'Italie Centro-méridionale au dernier siècle de la république », Latomus, 156, Bruxelles, 1978, pp 17-18.

[3]Golvin (J.-C.), « Origine, fonction et forme de l'Amphithéâtre romain », dans Spectacula I, Gladiateurs et amphithéâtres, Actes du colloque tenu à Toulouse et Lattes les 26, 27, 28 et 29 mai 1987, Edition préparée par Claude Domergue, Christian Landes et Jean-Marie Pailler, Lattes: Imago, 1990, p 16.

[4]Golvin (J.-C.), « l'Amphithéâtreromain », Op.cit., pp 8-9.

الخشبية المستعملة قديما. وطالما أن هذه الأخيرة بقيت محتواة في المحيط الرباعي الضيّق للساحة العمومية، فمن البديهي أنها لم تسلم من تأثير استقامة ضلعي المبنى الكبيرين، واستحالة توسيع جوانبه. والحق يقال أن هذه الإعاقة التقنية لم تساهم في استقبال أعداد الجماهير المتدفقة على هذه المباني، فهي كانت تتضاعف يوما بعد يوم[٥].

وقد اهتدى المعماريون الرومان على ما يبدو إلى نقل عمارة ألعاب المصارعة من الساحات العمومية إلى مواقع أخرى وذلك بغرض منح هذه المباني حريّة التطور، ولجعلها تعتمد أحسن الأشكال الهندسية ملائمة لوظيفتها.

وعلى أي حال فإنه يمكن إظهار الشكل العام للحلبة من خلال طبيعة العروض التي كانت تنظم فيها، حيث مثّلت فضاء حرًا مكن القائمين عليهمن تنظيمه لأجل السماح بحركية أكثر للمصارعين. وهو ما يدفعنا إلى الاستنتاج بأن الحلبة المغلقة ساهمت إلى حدّ كبير في تأمين الجمهور بشكلها الدائري الممدد، الأمر الذي لم يتوفر في الأشكال الأخرى[٦].

والظاهر أن فكرة تزويد ميادين المصارعة بمزايا المسارح قد اختمرت في مخيّلة المهندسين المعماريين الرومان انطلاقا من الوهلة التي تلت نقل فضاء المصارعة من الساحات العمومية إلى مساحات حرّة بغرض رفع طاقة استيعاب هذه المباني. ويعتبر الإنجاز المعماري الذي شيّده كوريون (Curion)[٧] في عام ٥٢ ق.م، قفزة نوعية في ميدان بناء ميادين المصارعة. فقد استطاع هذا الأخير تهيئة مسرحين من خشب نظّم فيهما أعمالا مسرحية، في حين كان يجمع بين البنائين ليتحصّل على ميدان مصارعة استخدمه في تنظيم ألعاب المصارعة والصيد وعروض ألعاب القوى[٨].

وفي الحقيقة كان كل شيء يسير في اتجاه نقل مزايا المسرح إلى ميادين المصارعة، فعمل المهندسون المعماريون على نصب المنصّات لجعلها تتناسب مع الإدراك الحسي للعروض، واجتهدوا في توزيع الجمهور على منصّات منضّدة بطريقة توحي إلى الحرص على مراعاة التقسيم الطبقي للمجتمع الروماني. كما لم يأبه المعماريون

---

[5]Ibid., p 10.

[6]Golvin (J.-C.), « Origine, fonction et forme de l'Amphithéâtre romain », Op.cit., p 18.

[٧]كوريون هو ابن الوجيه الروماني كايوسسكربونيوس كوريو (Caius ScriboniusCurio) الذي توفي سنة ٥٤ ق.م، فقد ترك هذا الأخير وصية إلى ابنه يطلب من خلالها إقامة ألعاب المصارعة في ذكرى وفاته. وقد اغتنم كوريون هذه الفرصة التي واكبت انتخابات الكايستوراه فتحصّل على منصب كايستور (محاسب) في روما؛

Andreau-Klein (C.), « Les Amphithéâtres dans le monde Romain », Dossiers de l'Archéologie, 45, Juillet-Aout 1980, p 64; Bernet (A.), Les Gladiateurs, Paris: Perrin, 2002, pp 31-32

[8]Pline l'ancien, Histoire Naturelle, XXXVI, 116.

الرومان في إنجازهم لميادين المصارعة بالخصائص الصوتية التي تتمتع بها المسارح بعد أن تخلوا عن الشكل الدائري، وذلك لارتباط عروض المصارعة بالإدراك البصري[٩].

وعلى أي حال، فقد أنشأت ميادين المصارعة القديمة التي تعود إلى نهاية القرن الثاني وبداية القرن الأول قبل الميلاد منحوتة في فليس (tuf) التلال المحيطة بمدن جنوب إيطاليا، أين اكتشفت لأول مرّة. وظهرت هذه المعالم المعمارية بسيطة في شكلها العام، كما احتفظت لنا آثارها ببقايا الأنفاق التي اخترقت الصخور لربط حدّي الحلبة التي كانت تستخدم في تنقّل العاملين في ميدان المصارعة والمصارعين والحيوانات، إذ كان هؤلاء يلجون حلبات المدرّجات باستعمال وسائل ميكانيكية ابتكرها وطوّرها المعماريون الرومان[١٠].

ويمثّل ميدان المصارعة في مدينة بومبيي (Pompéi) الذي يعود تاريخ إنشائه إلى النصف الأول من القرن الأول قبل الميلاد أحسن مثال عن تلك المنشآت التي حفرت حلباتها في أرض عادية. في حين استخدم التراب الناتج عن هذا الحفر في تشييد الواجهة الداخلية للمبنى (Cavea)، وتتشكل هذه الأخيرة من عدّة صفوف من المقاعد متّحدة المركز. وقد قسّمت صفوف القسم الداخلي من الميدان إلى صفوف أمامية (ima cavea) خصصت لطبقة الفرسان، وصفوف وسطى (media cavea) وأخرى خلفية (summa cavea). أما عن واجهة الصرح الخارجية، فهي تبدو حبيسة قاعدة ضخمة مزوّدة بدعائم ذات مظهر متماسك وارتفاع طفيف ممّا أثر سلبا على فخامة المبنى. وقد فكر المعماريون الرومان في مرحلة لاحقة تعود إلى القرن الأول الميلادي، بتدعيم تماسك تلك المباني. فقاموا بتقسيم الردم إلى أجزاء متساوية، ثم وضعوه داخل حجرات متجاورة مثلّثة الشكل . ويعدّ ميدان المصارعة في مدينة مريدا (Emerita Augusta) في إسبانيا أحسن مثال عن هذا النوع من الميادين، إذ يعود تاريخ إنشائه إلى عام ٨م. ونظرًا للخصائص التي تميّزت بها مجموعة ميادين المصارعة آنف الذكر، فإنه يمكن لنا أن ندرجها جميعها ضمن ما اصطلح على تسميته بالمنشآت ذات الهيكل الممتلئ (Edifices à structure pleine)[١١].

وحتى إذا أخذنا بعين الاعتبار أسبقية ظهور ميادين الهيكل الممتلئ، فإن ما يثير الانتباه أكثر، في أمر تطور الهندسة المعمارية لبناء ميادين المصارعة، يكمن في قيام المعماريين انطلاقا من أواخر القرن الأول قبل الميلاد، ببناء نوع جديد من الأبنية تعرف بميادين الهيكل المجوّف (Amphithéâtres à structure creuse). وأقلّ ما يقال عن هذه المباني أنها تشير إلى الرفاهية والهيبة. ويعدّ ميدان المصارعة

[9]Golvin (J.-C.), « l'Amphithéâtreromain », Op.cit., p 10.
[10]Ibid., p 11.
[11]Andreau-Klein (C.), Op.cit., p 68.

المكتشف في مدينة ترني (Terni)[١٢] في إيطاليا، الذي يعود تاريخ تشييده إلى عام ٣٢ ق.م، من بين أبرز الأمثلة عن هذا النوع من المباني، فهو يحتوي على واجهة بها معزبة (travée) مفتوحة. وخلال فترة حكم الإمبراطور أوكتافيوس أغسطس والإمبراطور تبيريوس أصبح بناء ميادين الهيكل المجوّف أمر عاديّ. أما عن أقدم ما نعرفه عن المدرّجات ذات الخصائص الضخمة، فيمكن الإشارة إلى الميدانين الذين اكتشفا في مدينتي فيرونا (Vérone) وبولا (Pula) في إيطاليا، فهي أبنية تتشكل من عدّة طوابق ذات أقواس مزيّنة[١٣].

ولعلّ أهم ما يمكن الإشارة إليه في سياق تعريفنا بميادين الهيكل المجوّف هو تزويد حلبات هذه الأبنية بممرّات تحتوي على آلات (pegmata) استخدمها المهندسون في رفع الحيوانات إلى داخل الحلبة. وفي حدود ما نعرف فقد اكتمل الشكل العام لميادين المصارعة الرومانية بمجرّد تحكم المعماريين الرومان في تقنيات بناء هذه العمارة، لاسيما أنه لم يطرأ أي تغيير على النمط المعماري الذي أضحى يستخدمه الرومان منذ القرن الأول الميلادي. وهو النمط الذي استخدم في تشييد ميدانالكوليزيوم في روما ومدرّج مدينة الجم (Thysdrus) في تونس[١٤].

وعمومًا فقد انتشرت عمارة ميادين المصارعة في جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية. ومنه فإننا نقف لنتساءل عن مصير هذه العمارة في المغرب القديم، وعن خصائصها ومناطق انتشارها في الجزائر القديمة؟

ظهور ميادين المصارعة الرومانية في المغرب القديم

إذا ما نحن أردنا رسم خريطة انتشار ميادين المصارعة التي تمّ اكتشافها في المغرب القديم، فإننا سنجد أنفسنا أمام عدم تكافئها في مقاطعات المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني، حيث نجدها تكثر في مقاطعة البروقنصليةونوميديا، وتتضاءل كثافتها كلّما اتجهنا نحو الغرب.

ولعلّ من بين أهم الأسباب التي حالت دون اكتشاف الأثريين لهذه العمارة في الجهة الغربية من مقاطعة موريطانيا القيصرية وفي معظم أراضي مقاطعة موريطانيا الطنجية، هو طبيعة البناء المستخدم في تشييد هذه العمارة. إذن، فعدم عثور علماء الآثار على أطلال ميادين المصارعة لا يعني بالضرورة خلوّ المنطقة من هذه المباني، لأن الاكتشافات الأثرية توحي إلى وجود نشاط حرفي في كلّ من موريطانيا الطنجية وموريطانيا القيصرية يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالمصارعة[١٥].

---

[١٢] تقع مدينة ترني (terni)، و تعرف في اللاتينية تحت اسم (Interamnia Nahars)، في إقليم أومبريا (Umbria) بإيطاليا.

[13] Golvin (J.-C.), « Origine, fonction et forme de l'Amphithéâtre romain », Op.cit., pp 19-20.

[14] Golvin (J.-C.), « l'Amphithéâtre romain », Op.cit., p 12.

[15] Berbrugger (A.), « Note sur le tombeau et la chambre sépulcrale », Revue Africaine, Alger, 1863, p 200; Hamelin (P.),«Gobelet de verre émaillé du musée d'Alger »,Libyca, t.=

وإذا ما نظرنا إلى ميادين المصارعة في قرطاجة والجم ولبدة، لاحظنا من خلال مظاهرها مميزات تقنيات الإنجاز والتشييد، حيث تمكن المعماريون الأفارقة من التحكم في بناء عمارة الألعاب الضخمة التي لم يكن يضاهيها سوى ميدان الكوليزيوم في روما، وذلك اعتبارًا من عام ٤٩ ق.م. ولما أنشأ الرومان في العهد الجمهوري أول مدرّج في مدينة أوتيكا، كانت هذه الأخيرة مقرًا للولاية الإفريقية. وفي سنة ٢٩ ق.م، تمكن مستوطنو قرطاجة وأهاليها من تشييد ميدان المصارعة الرومانية في المدينة على عهد أوكتافيوس[١٦]. وبعدها شيّد سكان لبدة وسكان الجم (Thysdrus) ميادين المصارعة في القرن الأول للميلاد[١٧].

وتشير الأبحاث إلى أن ميدان المصارعة الرومانية في مدينة شرشال الذي يعتبر النموذج الوحيد من نوعه في العالم الروماني، تمّ بناؤه أصلاً في النصف الأول من القرن الأول الميلادي، وبالتالي فهو معاصر لتاريخ وجود مملكة موريطانيا أثناء حكم الملكين يوبا الثاني وابنه بطليموس[١٨]. وقد شيّد ميدان المصارعة في مدينة شرشال مستطيلاً[١٩].

ميادين المصارعة الرومانية في الجزائر القديمة

لقد أثبتت الحفريات والنصوص القديمة انتشار خمسين ميدان مصارعة في كامل المغرب القديم. ومن خلال ما توصلنا إليه من معلومات فإن عدد مدرّجات البروقنصلية قد تجاوز لوحده ثلاثين ميدانًا، تم التعرّف على ٢٦ منها، تنتشر في

=III, 1, 1955, pp 87-93 ; Leglay (M.), « A la recherche d'Icosium », Antiquités Africaines, t.2, 1968, pp 36-38; Thouvenot (R.), « Sur deux statuettes de gladiateurs du Maroc romain », *H*ommages à Léon Hermann*,* collection Latomus, Vol. XLIV, Bruxelles, 1960, pp 715-720.

[١٦] جمع أوكتافيوس (CaiusOctaviusThurinus) سلطات واسعة بين يديه،فتحصل على لقب القائد العام للجيوش الرومانية (Imperium)، ومنح لقب كبير أعضاء مجلس الشيوخ (Princepssenatus) في سنة ٢٨ ق.م. وفي ١٦ يناير ٢٧ ق.م، منحه مجلس الشيوخ الروماني لقب أغسطس (Augustus)، فجعلوا منه حاكمًا مؤلهًا. وفي سنة ٢٣ ق.م، تحصّل أوكتافيوس على صلاحيات ممثلي العامة (potestastribunicia) التي جعلته شخصية مقدسة ومحمية. ثم انتخب كبيرًا للكهنة (pontifexmaximus) في سنة ١٣ ق.م.

[17]Lachaux (J.-C.), Théâtres et amphithéâtres d'Afrique proconsulaire, Aix-en-Provence: Edisud, 1981, p 57; Hugoniot (Ch.), Les spectacles de l'Afrique Romaine. Une culture officielle municipale sous l'empire romain, Lille: Atelier national de reproduction des thèses, 1996, T.1, p 71.

[18]Leveau (Ph.), Caesarea de Maurétanie. Une ville Romaine et ses Campagnes, collection de l'école française de Rome, 70, Rome, 1984, p 38; Hugoniot (Ch.), Les spectacles de l'Afrique Romaine.., T.1, Op.cit., p 71.

[19]Golvin (J.-C.) et Leveau (Ph.), « L'amphithéâtre et le théâtre-amphithéâtre de Cherchel: Monuments à spectacles et histoire urbaine à Caesarea de Maurétanie », MEFRA, 91, 1979, 2, pp 817-843.

تونس الحالية، بينما تتوزع بقية ميادين المصارعة في مقاطعة البروقنصلية على أراضي شرق الجزائر الحالية وشمال غرب ليبيا[٢٠].

ولعلّ من بين أهم الأسباب التي حالت دون اكتشاف الأثريين لهذه العمارة في الجهة الغربية من مقاطعة موريطانيا القيصرية التي تقع أراضيها في الجزائر الحالية، هو طبيعة البناء المستخدم في تشييد هذه العمارة. فالاكتشافات الأثرية العديدة التي قام بها علماء الآثار توحي إلى وجود نشاط حرفي في هذه المقاطعة، والذي يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالمصارعة[٢١].

ميدان المصارعة في يول (شرشال)

نحن نعلم من المعلومات التي تتضمنها تقارير الحفريات التي قامت بها بعثات التنقيب في ميدان المصارعة الرومانية بمدينة يول، أن حلبة هذا المبنى تتشكل من قسم أوسط مستطيل يبلغ طوله ٥٧م، هو ممدد بنصف دائرتين جعلتها تبدو بأبعاد ١٠١م×٤٤م. وكان لحلبة المبنى خندق مركزيّ وآخر يحاذي الحاجز الخفيض، ومن الممكن أن يعود استخدامهما إلى حاجة القائمين على تسيير هذا المبنى في رفع المصارعين والحيوانات إلى داخل ميدان المصارعة باستخدام الآلات[٢٢].

وعند بناء ميدان المصارعة، كان يبلغ عرض ذلك الفضاء المخصص للمشاهدين الذي يعلو دكة الحلبة ١١.٤٥م. وكان هذا الفضاء يحتوي على خمسة صفوف أمامية (ima cavea)، وأربعة صفوف وسطى (media cavea) وأربعة صفوفأخرى خلفية (summa cavea). كما كان بإمكان منصات المشاهدين استيعاب جمهور يقدّر بحوالي ٩٩٠٠ مشاهد. ونظرًا للطلب المتزايد على حضور ألعاب المصارعة والصيد، فقد عمل المعماريون في العصور اللاحقة على توسعة الفضاء المخصص للمشاهدين، فأضافوا ستة صفوف مقاعد أنشئوا من أجلها حلقة عرضها خمسة أمتار أسندوها إلى أقواس قاموا ببنائها محاذية للواجهة الخارجية من المبنى. وهو ما يشير إلى أن المعماريين قد رفعوا طاقة استيعاب الصرح بنحو ٤٥٠٠ مشاهد، فاستطاع استيعاب حوالي ١٤٤٠٠ مشاهد[٢٣].

---

[20]Kolendo (J.), « La description des amphithéâtres de la Tunisie dans les récits des voyageurs », KTEMA, 17, 1992, p 78.

[21]Berbrugger (A.), « Note sur le tombeau et la chambre sépulcrale »,Revue Africaine, Alger, 1863, p 200; Hamelin (P.), «Gobelet de verre émaillé du musée d'Alger »,Libyca, t. III, 1, 1955, pp 87-93 ; Leglay (M.), « A la recherche d'Icosium »,AntiquitésAfricaines, t.2, 1968, pp 36-38.

[22]Leveau (Ph.), « Le problème de la date de l'amphithéâtre de Caesarea de Maurétanie: sa construction et son agrandissement », dans Spectacula I: Gladiateurs et Amphithéâtres, Op.cit., p 47.

[23]Leveau (Ph.), Caesarea de Maurétanie. Une ville Romaine et ses Campagnes, Op.cit., p 38; Id., « Le problème de la date de l'amphithéâtre de Caesarea de Maurétanie: sa construction et son agrandissement », Op.cit., pp 47-48; Blas de Roblès (J.-M.) et Sintes (C.), Sites et monuments antiques de l'Algérie, Op.cit., p 37.

لقد أشرت أعلاه، حينما تطرّقت إلى تطور عمارة ميادين المصارعة الرومانية، إلى أن منصّات المشاهدين قد انتقلت تدريجيا من الوضعية المستقيمة، حين كانت تقام على حواف الساحات العمومية، إلى الشكل الإهليجي عند بنائها في ميادين المصارعة. وقد حاول المعماريون إلغاء زوايا فضاء المصارعة المستطيل بغية تحسين نوعية هذا الفضاء، ولجعله فضاء يمكن إدراكه من المنصة. وكان أول عمل قام به المعماريون هو إنجاز حلبات مصارعة جعلت مراكزها مستطيلة، في حين بنيت أطرافها على شكل نصف دائرة. ويبدو أنه لم يكن من السهل الوصول إلى الشكل الإهليجي في ميادين المصارعة التي تم إنجازها في بداية الأمر، أين بذل المعماريون مجهودًا كبيرًا لمحاولة تصوّر هذه العمارة، الذي واكبه تطوّر منهجي في الخصائص التقنية للأبنية الخشبية المستعملة قديما. من هنا لا نستبعد اعتماد المعماريين الرومان على تقنيات بناء المسارح في تشييد عمارة ميادين المصارعة، ونؤيد بذلك فرضية الانتقال التدريجي من الشكل المستطيل إلى الشكل الإهليجي. وقد مثّل الشكل الوسطيّ بين الشكل المستطيل والشكل الإهليجي بناء مستطيل له جانبين متوازيين يرتبطان في طرفيهما بنصف دائرة، وهو الشكل الذي ربما ألفه يوبا الثاني في شبابه عند وجوده في روما والذي تبناه المعماريون عند تشييدهم لمدرّج مدينة يول[٢٤].

والظاهر أن ولع سكان مدينة يول بمتابعة فعاليات ألعاب المصارعة والصيد قد عرف ذروته في القرون الثلاثة الأولى للميلاد، وهو ما جعلهم يقدمون على تحويل مسرح المدينة إلى مسرح مدرّج مع نهايـة القرن الثاني وبدايـة القرن الثالث للميلاد[٢٥]. وهو التغيير الذي نحسه فيما كان مـن تهيئة الحلبة التي أصبحت أبعادها تساوي ٣٣م×٢٦م، وقد ألحق بهذا الميدان أربعة أقفاص وضعت فيها الحيـوانات المتوحشة، كما زوّدت الحلبة بدكة بلغ ارتفاعها ثلاثـة أمتار. أما عن منافذ المسـرح الجانبيـة، فقد اجتهد المعماريون في تحويل أحدها إلى باب كانت تدخل عبره مواكب الألعاب إلى داخل المبنى يعرف بباب الانتصارات، في حين هيئوا الباب الثاني المعروف بباب الربة لبتينا التي عبدها الرومان (porta libitinensis)، لاستخدامه في إخراج جثث قتلى المصارعين[٢٦].

ميدان المصارعة في تيبازة

لقد قام سكان مدينة تيبازة (Tipasa) ببناء ميدان مصارعة رومانية في القرن الثالث الميلادي، كانت له خصائص الميدان المستطيل الملاحظ في مدينة يول (شرشال)،

[24]Golvin (J.-C.), « l'amphithéâtre romain », Op.cit., p 9; Leveau (Ph.), Caesarea de Maurétanie. Une ville Romaine et ses Campagnes, Op.cit., pp 38-39; Blas de Roblès (J.-M.) et Sintes (C.), Op.cit., p 37.
[25]Blas de Roblès (J.-M.) et Sintes (C.), Op.cit., p 34.
[26]Ibid., p 34.

وتتمثل خاصية هذا الميدان النادرة في حفر المعماريين لقطع إهليج حلبته في مستطيل[٢٧]. أما عن أبعاده فهي تساوي ١٠٠م×٨٥م[٢٨].

وقد زوّد المعماريون ميدان المصارعة في تيبازة بقناة استعملت في نقل المياه إلى داخل الحلبة بغرض إمتاع المشاهدين بعروض المعارك البحرية الصورية. وليس ثمة دليل قاطع على أن المقبرة التي تم الكشف عنها بالقرب من هذا الصرح هي ملحقة به، لكننا نعتقد أنها استعملت في دفن جثث المصارعين[٢٩].

وإذا ما توفرت لدينا المعلومات التقنية التي تضمنتها تقارير حفريات بعثات التنقيب في ميداني المصارعة الرومانية بمدينتي يول وتيبازة، فإن الأمر يختلف تمامًا فيما يخص ميادين المصارعة التي وصلنا صداها عن طرق النقوش اللاتينية التي خلّدتها والتي نذكر من ضمنها ميداني ستيفيس (سطيف) وكيرتا (قسنطينة).

ميدان المصارعة في ستيفيس (سطيف)

قام سكان مدينة ستيفيس (Sitifis) في العقود المتأخرة من القرن الثالث الميلادي، ببناء ميدان مصارعة رومانية دلّنا عليه نقش يعود إلى سنتي ٢٩٧م-٢٩٨م، وهي الفترة التي شهدت ميلاد مقاطعة موريطانيا السطايفية (Mauretania Sitifiensis)على يد الإمبراطور ديوقلتيانوس ما بين سنوات ٢٩٧م و٣٠٣م.ويشير النقش صراحة إلى انتهاء أشغال تهيئة حلبة ميدان المصارعة في مدينة ستيفيس تخليدًا لزيارة الإمبراطور ديوقلتيانوس إلى إفريقيا مع نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع للميلاد، وهي الأشغال التي أنجزت بالاعتماد على المال العام[٣٠].

ميدان المصارعة في كيرتا (قسنطينة)

لقد بيّنت لنا النقوش اللاتينية التي وصلتنا من مدينة كيرتا (Cirta) في شرق الجزائر إلى وجود ميدان مصارعة في هذه المدينة، من ضمنها نقش يعود إلى سنة ١٩٣م أو ١٩٤م، يشير صراحة إلى قيام المدعو لوكيوس سكانتيوسيوليانوس (Lucius ScantiusIulianus) من قبيلة كرينا (Quirina)، عضو الحكومة الثلاثية في مدينة كيرتا، بتشييد تمثال من نفقات المترتبات المالية التي جناها من حقوق تنظيم ألعاب المصارعة الرومانية (munus) في ميدان المدينة[٣١].

[27]Ibid., p 53.
[28]Gsell (S.), Lesmonumentsantiquesdel'Algérie, Paris: Ancienne librairie Thorin et fils, Albert Fontemoine, 1901, T.1, pp 203-204; Hugoniot (Ch.),Les spectacles de l'Afrique Romaine.., T.1, Op.cit., pp 67-68.
[29]Blas de Roblès (J.-M.) et Sintes (C.), Op.cit., p 53.
[30]Hugoniot (Ch.), Op.cit., pp 68-69.
[31]CIL, VIII, 6995.

ميدان المصارعة في روسيكاد (سكيكدة)

لقد شيّد سكان مدينة روسيكاد[٣٢] ميدان مصارعة رومانية مميّز، مجّده نقش يعود إلى سنة ١٨٧م[٣٣].وتؤكد الدراسات التي أنجزت على هذا الصرح أنه كان ذو شكل إهليلجي بأبعاد تساوي ٧٨م×٥٩م. وقد هيّأ المعماريون هذا المبنى لاستقبال المعارك البحرية الصورية، وذلك بإنجاز نظام ميكانيكي يعتمد على مضختين وضعت كلاهما على طرفي الحلبة. ففي الوقت الذي تقوم فيه المضخة الأولى، بتسريب مياه الأودية القريبة إلى حلبة الميدان بتحويلها إلى حوض مائي، تقوم الثانية بصرف تلك المياه بعد الانتهاء من الألعاب. كما مكنت دكة هذا المبنى التي كانت ترتفع بخمسة أمتار عن مستوى الحلبة، من تأمين المشاهدين الذين كانوا يتوزعون على اثني عشر صفًا تمثّل منصات المشاهدين. وفي الحين الذي خصصت فيه الصفوف الثمانية الأولى من ميدان المصارعة في روسيكاد لأعضاء المجلس البلدي والكهنة وأعيان المدينة، استعملت الصفوف الخمسة الأخيرة من طرف سكان المدينة وزوارها[٣٤].

وتشير الدراسات التي أنجزت على هذا المبنى أنه كان يرتفع باثني عشر مترًا عن مستوى سطح الأرض المحيطة به، وهو مشيّد على طبقتين، يحيط به رواق كبير يبلغ عرضه حوالي عشرة أمتار يؤدي إلى مدخلين رئيسيين متقابلين على خط المحور الكبير للمبنى[٣٥]. ويبدو أنه كان للاستعمار الفرنسي للجزائر أثر كبير في اختفاء هذا المعلم الفريد من نوعه، وهذا بتدمير جيش الاحتلال له سنة ١٨٤٥م[٣٦].

ميدان المصارعة في هيبوريجيوس (عنابة)

يرجّح نقش يشيد بقيام أحد أعيان مدينة هيبوريجيوس، يدعى لوكيوسبستوميوس فليكس كليرينوس (Lucius Postumius Felix Celerinus)، بتنظيم ألعاب المصارعة الرومانية التي دامت فعالياتها طيلة ثلاثة أيام، وهو ما يجعلنا نعتقد بوجود ميدان للمصارعة في هذه المدينة التي تقع في شرق الجزائر[٣٧].

---

[٣٢]كانت مدينة روسيكاد تنتمي إلى الكونفدرالية الكيرتية التي أسسها المرتزق الكمبانيسيتيوس (C. Sittius)، الذي ساهم في القضاء على مملكة نوميديا في سنة ٤٦ ق.م، وهو ما شجّع يوليوس قيصر على منحه جزء من أراضي هذه المملكة. وكان هذا الاتحاد يضم كل من العاصمة السابقة لمملكة نوميديا: كيرتا، بالإضافة إلى روسيكاد (coloniaveneriaRusicade) وشولو (Chullu) وميلاف (Milev)؛ Heurgon (J.), « Les origines campanienne de la confédération cirtéenne », Libyca, 5, 1957, pp 7-24.

[33]CIL, VIII, 7969.

[34]Vars (Ch.), Rusicade et Stora dans l'Antiquité, Constantine : Emile Marle, 1896, pp 130-131; Gsell (S.), Lesmonumentsantiquesdel'Algérie, Op.cit., p 201-202.

[35]Vars (Ch.), Op.cit., pp 124-131.

[36]Vars (Ch.), Op.cit., pp 125-127; Gsell (S.), Op.cit., p 201.

[37]CIL, VIII, 5276.

ميدان المصارعة العسكري في لامبيز

كما أن نفس التخريب الذي تعرّض له مدرّج مدينة روسيكاد، قد أصاب ميدان المصارعة الرومانية في تازولت الذي حدد الأثريون موقعه بين مدينة لامبيز (lambaesis) ومخيّم الفرقة الأوغسطية الثامنة التي كانت ترابط بالقرب من هذه المدينة[٣٨]. ومعنى هذا أن المنطقة الواقعة إلى الجنوب الغربي من مدينة تيمقاد (Thamugadi) كانت، في القرن الثالث الميلادي، تعرف استقرارًا مكنها من الازدهار والرقيّ. يبدو أن الوضع المعاصر في لامبيز قد ذلّل العقبات في سبيل تشييد ميدان المصارعة، في عهد الإمبراطور ماركوس أوريليوس في النصف الثاني من القرن الثاني للميلاد (١٦٩م)[٣٩].

وتشير المعطيات التي نملكها عن هذا المدرّج أنه ذو أبعاد ١٠٤.٦٠م×٩٤م، أي بطاقة استيعاب ما بين عشرة آلاف واثني عشر ألف متفرّج[٤٠]. ويصف ستيفان قزال طريقة إنجاز هذا المبنى بغير المعقدة، فقد نحت المعماريون جزء منه في ربوة صغيرة قريبة من المخيّم العسكري، هي ذات أرضية نضيدية(colline de terrain schisteux). في حين استعانوا لإنجاز القسم الثاني منه بأتربة قاموا بتدعيمها بحائط من الدبش ودعائم بارزة، وكان الهدف من وراء هذا التدعيم هو خلق قوة دفع معاكسة لتلك التي كانت تمارسها الأتربة[٤١]. كما أن تجهيز المدرّج بآلات ميكانيكية تم الكشف عن آثارها في حفرة بوسط الرواق الذي كان يخترق المحور الكبير للمبنى، والذي يوحي بالاستخدام المزدوج لهذه الأخيرة، بحيث استعملت كدعائم ديكور وسط ميدان المصارعة، كما استغلت في رفع الآلات التي كانت موجودة في داخل الأروقة السفلية للحلبة حينما كانت تغمرها مياه الأمطار[٤٢].

ميدان المصارعة في ملولي

إن معلوماتنا عن مدرّجات روسيكادولامبيز تعتبر أكثر وضوحًا من مدرّج ملّولي (Gemellae) الذي لم تصلنا من المعلومات عنه سوى تصنيفه ضمن المدرّجات العسكرية التي أنشأها الجنود الرومان في القرن الثاني الميلادي[٤٣].

---

[38]Gsell (S.), *Op.cit.*, p 202; Janon (M.), Lambèse capital militaire de l'Afrique Romaine, Ed. de la Nerthe, 2005, p 56.

[39]Hugoniot (Ch.), Op.cit., p 102;Janon (M.), Op.cit., p 59 .

[40]Blas de Roblès (J.-M.) et Sintes (C.), Op.cit., p 182.

[41]Gsell (S.), Op.cit., p 202.

[42]Janon (M.), Op.cit., p 59; Blas de Roblès (J.-M.) et Sintes (C.), Op.cit., p 182.

[43]Leroux (P.), « l'amphithéâtre et le soldat sous l'empire romain », dans: Spectacula I, Op.cit., pp 203-215;Laronde (A.) et Golvin (J.-C.), l'Afrique Antique: Histoire et monuments, Libye, Tunisie, Algérie, Maroc, Paris: Thallandier, 2001, pp 99-123; Blas de Roblès(J.-M.) et SINTES (C.), Sites et monuments antiques de l'Algérie, Op.cit., p 37; 53; 182 et 221; Janon (M.), Lambèse capitale militaire de l'Afrique romaine, Op.cit., pp 56-60.

ميدان المصارعة في تبسة

في حدود ما نعرف يمكن لنا القول بأن عدد مدرّجات البروقنصلية قد تجاوز الثلاثين، فقد تم التعرّف على ٢٦ مدرّج تنتشر في تونس الحالية لوحدها، بينما تتوزع بقية مدرجات البروقنصلية على أراضي شرق الجزائر (تبسة) وإقليم المدن الثلاثة في ليبيا[٤٤].

ولم يكن ميدان المصارعة في مدينة تبسة (Theveste) يتّسع لأكثر من سبعة آلاف متفرّج، في حين تساوي أبعاده ٨٠م×٧٦م[٤٥]. وقد شيّد هذا المدرّج من فليس مطلي بمعجون المرمر ومن أحجار كلسية جميلة استعملت في كامل أنحاء المبنى تقريبا، بينما تتشكل منصاته من مجموعة صفوف مقاعد عددها خمسة عشر صفًا[٤٦]. وقد احتفظت لنا بعض هذه المقاعد بنقوش أسماء العائلات التي كان لها الحق في المقاعد الأمامية[٤٧]، وهو نفس العرف الذي كان معمولاً به في مدرّج مدينة لامبيز[٤٨] وفي مدرّج مدينة قرطاجة[٤٩]. وتشير الدراسات إلى أن هذا المبنى كان ينتمي إلى مجموعة المدرّجات متوسطة الحجم، فهو أصغر من مدرّجات لامبيز وشرشال وأكبر من مدرّجات تيبازة وروسيكاد وملولي[٥٠].

---

[44]Kolendo (J.), « La description des amphithéâtres de la Tunisie dans les récits des voyageurs », KTEMA, 17, 1992, p 78.

[45]Blas de Roblès (J.-M.) et Sintes (C.), Op.cit., p 221.

[46]Gsell (S.), Op.cit., p 203.

[47]Lequement (R.), « Fouilles à l'amphithéâtre de Tébessa (1965-1968) », BAA, 2me suppl., 1968, pp 104-106.

[48]Kolendo (J.), « La répartition des places aux spectacles et la stratification sociale dans l'empire Romain. A propos des inscriptions sur les gradins des amphithéâtres et théâtres », KTEMA, 6, 1981, pp 308-309.

[49]Hugoniot (Ch.), « Les noms d'aristocrates et de notables gravés sur les gradins de l'amphithéâtre de Carthage au bas-empire », AntiquitésAfricaines, T. 40-41, 2004-2005, pp 205-258.

[٥٠]أقيمت دعائم مدرّج مدينة ملولي (Gemellae)، فهي تقع إلى الجنوب من مدينة تيمقاد، في حوالي سنة ١٣٢م أو ١٣٣م؛

Lequement (R.), Op.cit., pp 239-241; Hugoniot (Ch.), Les spectacles de l'Afrique Romaine.., p 71.

خاتمـــــة

لقد أقبل سكان المغرب القديم على متابعة فعاليات المصارعة الرومانية خلال القرون الثلاثة الأولى بعد ميلاد السيد المسيح، وانتشرت عمارة ميادين المصارعة في ربوع المغرب القديم. وتشير الدلائل المادية إلى الخائص المميزة لهذه العمارة مقارنة ببقية ميادين المصارعة التي كانت منتشرة في أرجاء الإمبراطورية الرومانية. و الحق يقال أن انتشار هذه العمارة في المغرب القديم لم يكن متجانسًا، فهي تكثر في مقاطعتي البروقنصليةونوميديا وتتضاءل في الجهات الغربية من المغرب القديم. وربما يرجع السبب في كثرة عمارة المصارعة الرومانية بالجهات الشرقية من المغرب القديم إلى قابلية ممارسة سكان جنوب تونس وإقليم المدن الثلاثة في ليبيا لهذا النوع من الرياضة الدموية التيتولّدت لديهم بفعل تلك الطقوس الدينية التي كان يمارسها أفراد قبيلتي المخليس والأوسيس والتي امتزجت فيها التسلية ببعض الطقوس الدينية الدموية[٥١].

ميدان المصارعة الرومانية في شرشال (الجزائر)
Blas de Roblès (J.-M) et Sintes (C.), Sites et monuments antiques de l'Algérie, p 37.

[51]Hérodote, Histoires, IV, 180.